٢٩ ــ باب: في قضاء حوائج المسلمين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[١]: ﴿وَمَا تَفْعَلوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

٢٤٥ ــ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

باب «فضل» قضاء حوائج المسلمين

قال الله تعالى: **(وما تفعلوا من)** بيانية **(خير)** والكلام في معنى الشرط **(فإن الله به عليم)** جوابه، أي: إن تفعلوا خيراً فإن الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه. والآية تقدمت في باب المجاهدة وغيره.

٢٤٥ ــ **(وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:)** محرضاً على أسباب التآلف المطلوب من المؤمنين، **(المسلم أخو المسلم)** لاجتماعهما في حياطة الإسلام، كالأخوين المجتمعين في الأبوين، أو في أحدهما. **(لا يظلمه)** بنقص حقه **(ولا يسلمه)** بضم التحتية، أي: إلى من يظلمه ويهينه. **(ومن كان)**، أي: وجد **(في حاجة أخيه)**، أي: في قضائها بالفعل أو بالتسبب، ويحتمل إن كان ناقصة، أي: ومن كان كائناً في حاجة أخيه **(كان الله في)** قضاء **(حاجته)**. والمفرد المضاف للعموم فيعم الأخروية والدنيوية، وذلك لأن من قضى حاجة أخيه طالباً لمرضات الله، إنما قام بذلك لحق الله، فجازاه الله بقضاء حاجته سيما عند ضرورته. **(ومن فرج عن مسلم كربة)** بإنظار عليه، أو تشفع عند ذي الدين، أو نحو ذلك. **(فرج الله عنه بها)** أي: عوضها **(كربة)** والتنوين فيه للتعظيم؛ لأنها كرب الساعة التي تذهل فيها كل مرضعة عما أرضعت، والتنكير في سياق الشرط للتعميم، فيفيد أن من فرج عن مسلم كربة، أي: شدة تكرب النفس حتى تكاد تأخذ بالنفس، أيّ كربة كانت، فرج الله عنه الكرب. **(من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً)** لم يشتهر بالأذى والضرر على معصية رآها منه فيما مضى، **(ستره الله يوم القيامة متفق عليه)**. والحديث تقدم بسط الكلام فيه، وفي معظم ما في الحديث بعده في باب تعظيم حرمات المسلمين.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٥.

(٢) وهنا للبخاري ولكن مر في صفحة ١٨ من هذا الجزء، (الحديث رقمه: ٢٣٤).
وأخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه. وفي الإكراه، باب: يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه (٥/٧و٧١). =

٢٤٦ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، . . . . . .

---

٢٤٦ ــ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من نفّس)**، أي: أزال وفرج من تنفيس الخناق، أي: إرخائه حتى يأخذ له نفساً، **(عن مؤمن)** أوثر لمزيد شرفه وحرمته، فالثواب فيما يفعل معه من الإحسان آكد، وإلا فالذمي كذلك هنا، وفيما يأتي في أصل الثواب لخبر: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء» وخبر: «في كل كبد رطبة أجر» وسيأتي ويلي لذمي المستأمن الحربي، فالثواب في كل، أضعف مما قبله؛ لأنه تابع لمزيد الشرف والاحترام. **(كربة)** هي ما أهم النفس وغم القلب؛ لأن الكربة تقارب أن تزهق النفس كأنها لشدة غمها عطلت مجال التنفس منه، وبه يعلم حكمة إيثار نفس على رديف أزال وفرج. **(من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة)**، أي: شدائدها، وفي رواية للطبراني «نفّس الله كربه يوم القيامة» ففيه عظيم فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم، أو مال، أو جاه، أو نصح، أو دلالة على خير، أو إعانة بنفسه، أو سفارته، أو وساطته، أو شفاعته، أو دعائه له بظهر الغيب، وسبق في الباب المشار إليه حكمة هذا الثواب. **(ومن يسر على معسر)** بإبراء، أو هبة، أو صدقة، أو نظرة إلى ميسرة بنفسه، أو وساطته. قال في الفتح المبين: ويصح شموله لإفتاء عامي في ضائقة وقع فيها بما يخلصه منها؛ لأنه معسر بالنسبة للعالم **(يسر الله عليه)** أموره **(في الدنيا والآخرة)** فيه عظيم فضل التيسير على المعسر، والأحاديث فيه كثيرة منها خبر مسلم: «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فليفس عن معسر أو يضع عنه» وخبره أيضاً: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وخبر أحمد: «من أراد أن تستجاب دعوته وتنكشف كربته فليفرج عن معسر». **(ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة)** تقدم بسط الكلام فيه في الباب المذكور. **(والله في عون العبد)**، أي: إعانته وتسديده. **(ما كان العبد)**، أي: مدة دوام كون العبد **(في عون أخيه)**، أي: إعانة أخيه بقلبه أو بدنه أو ماله أو غيرها. قيل: وهذا إجمال لا يسع بيانه الطروس، فإنه مطلق في سائر الأحوال والأزمان، ومنه: «إن العبد

= وأخرجه مسلم في كتاب: البر والآداب والصلة، باب: تحريم الظلم، (الحديث: ٥٨).
وقد مر في الصفحة ١٨ من هذا الجزء برقم: ٢٣٤.

وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ .....

إذا عزم على معاونة أخيه فينبغي له أن لا يجبن عن إنفاذ قوله وصدعه بالحق» وتأمل دوام هذه الإعانة فإنه ﷺ لم يقيدها بحالة خاصة، بل أخبر أنها دائمة بدوام كون العبد في عون أخيه. وعن الحسن رضي الله عنه «أنه أمر ثابتاً البناني بالمشي في حاجة فقال: أنا معتكف فقال له يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة». وروى الإمام أحمد «أن خباب بن الأرت خرج في سرية فكان ﷺ يحلب عنزاً لعياله فتمتلىء الجفنة حتى يفيض زيادة على حلابها، فلما قدمها وحلب عاد إلى ما كان» وكان أبو بكر يحلب للحي أغنامهم، فلما استخلف قيل الآن لا تحلبها، قال بلى، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت أفعله، وكان عمر يتعاهد الأرامل فيستقي لهم الماء في الليل، ورآه طلحة داخلاً ليلاً بيت امرأة فدخل لها نهاراً، فإذا هي عجوز عمياء مقعدة، فقال: ما يصنع هذا الرجل عندك؟ قالت منذ كذا وكذا يتعاهدني بما يقوم بي من البر، وما يصلح لي شأني، ويخرج عني الأذى، ويقم لي بيتي، فقال طلحة لنفسه: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع **(ومن سلك طريقاً)** فعيلاً من الطرق؛ لأن الأرجل ونحوها تطرقه وتطلبه وتسعى فيه، ويصح أن يراد بها ما يشمل المعنوية، كحفظه ومذاكرته ومطالعته وتفهمه وكل ما يتوصل به إليه. **(يلتمس)** يطلب **(فيه)**، أي: في غايته أو سببه واحتمال كونه فيه حقيقة نادر جداً لا يحمل عليه الحديث. **(علماً)** شرعياً أو آلة، قاصداً بذلك وجه الله، قيل: وهذا وإن اشترط في كل عبادة، لكن عادة العلماء تقييد هذه المسألة به؛ لأن بعض الناس قد يتساهل فيه، أو يغفل عنه ا هـ. قال في الفتح المبين: وكأنه يريد أن تطرق الرياء للعلم أكثر من تطرقه لسائر العبادات، فاحتيج للتنبيه فيه على الإخلاص؛ اعتناء بشأنه والعلم الشرعي ما صدر عن الشرع، أو توقف عليه العلم الصادر عن الشرع توقف وجود، كعلم الكلام، أو توقف كمال، كعلم العربية. **(سهل الله له به)**، أي: بسلوكه الطريق المذكورة. **(طريقاً إلى الجنة)** أي: يرشده إلى طلب الهداية والطاعة الموصلة إلى الجنة، وليس ذلك إلا بتسهيله تعالى، وإلا فبدون لطفه لا ينفع علم ولا غيره، أو بأنه يجازيه على طلبه وتحصيله بتسهيل دخول الجنة، بأن لا يرى من مشاق الموقف ما يراه غيره؛ وهذا أقرب لظاهر الحديث، واستفيد منه مع ما قبله، ومن قوله تعالى: ﴿جزاء وفاقاً﴾[1] أن الجزاء يكون من جنس العمل

---

(١) سورة النبأ، الآية: ٢٦.

تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، . . . . . .

ثواباً وعذاباً، كالتنفيس بالتنفيس، والستر بالستر، والعون بالعون، ونظير ذلك كثير في أحكام الدنيا والآخرة، وهذا يؤذن بعظيم فضل السعي في طلب العلم، ويلزم منه عظم فضل الاشتغال به، وأدلته أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر. **(وما اجتمع قوم)** هو اسم جنس جمعي يصدق بثلاثة فأكثر، يستوي فيه الذكور والإناث، كذا في فتح الإله، وظاهره أنه مشترك بين الفريقين، لكن تقدم عن مفردات الراغب، والقوم جماعة الرجال في الأصل دون النساء، قال تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾[1] ﴿ولا نساء من نساء﴾[2] وفي عامة القرآن أريدوا به والنساء جميعاً، وحقيقته للرجال ا هـ. ومنه يتبين أن قوله يستوي فيه الذكور والإناث باعتبار أنه المراد لاستواء المكلف من كلا النوعين في غالب الأحكام، فيكون مجازاً من باب التغليب، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه. **(في بيت من بيوت الله تعالى)** هو المسجد **(يتلون)** أي: يقرؤون **(كتاب الله تعالى)** أي: القرآن لتبادره إلى الأذهان، وإضافته إلى الله تعالى، لأنه منزل من عنده، معجزة لنبيه ﷺ. **(ويتدارسونه بينهم)**، أي: يقرأ هذا شيئاً ويقرأ الآخر عين ما قرأه صاحبه، هذه المدارسة الفضلى التي وردت من فعله مع جبريل ﷺ في حديث: «كان جبريل يدارسه القرآن» ويحتمل أن المراد من المدارسة في هذا الحديث ما يشمل ما اعتيد من قراءة ما بعد ما يقرأه القارىء وهكذا، والتخصيص بما ذكر لكمال الفضل؛ وإلا فجاء في رواية أخرى غير مقيدة بذلك، وإنما فيه ترتب ما ذكر في الخبر على الاجتماع على الذكر مطلقاً، ولا تفيد تلك المطلقة بهذه الرواية؛ لأن ذكر بعض أفراد العام لا يخصص، وفضل الله عام. **(إلا نزلت عليهم السكينة)**، أي: المذكورة في قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾[3] وهي فعيلة من السكون للمبالغة، والمراد بها هنا: الحالة التي يطمئن بها القلب، فلا يزعج لطارق دنيوي لعلمه بإحاطة قدرة الله تعالى لسائر الكائنات، فيسكن القلب ويطمئن بموعود الأجر لقوة رجائه بحصوله لما وفقه للاشتغال به عما سواه، وقيل: السكينة اسم ملك ينزل في قلب المؤمن يأمر بالخير، وقيل: السكينة الرحمة والوقار والسكون والخشية وغير ذلك، والمراد، السكون تحت جري المقادير لا ضد الحركة، ولا يمنع من تفسيرها بالرحمة عطفها عليها في الجملة بعدها؛ لأن المقام للإطناب، واختار المصنف كون السكينة هنا بمعنى الطمأنينة. وفي

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٤.

وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ؛ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

الحرز للقاري «ويجوز أن يقرأ عليهم السكينة» بضم الهاء والميم وكسرهما، وكسر الأول وضم الثاني وهو الأشهر. «قلت»: والأشهرية يحتمل من حيث القراءة، ومن حيث الرواية، والأول أقرب. (وغشيتهم) عمتهم وأحاطت بهم من كل جهة. (الرحمة) والمراد من الرحمة كما هو ظاهر غايتها من الإحسان والفضل والامتنان. (وحفتهم) بتشديد الفاء (الملائكة)، أي: غشيتهم الملائكة، وأل فيه للعهد، أي: الملائكة الملتمسون للذكر كما في الحرز، أو ملائكة الرحمة والبركة إلى السماء الدنيا كما في رواية الصحيحين. وفي رواية لأحمد: «بعضهم على بعض حتى يبلغوا العرش حتى يسمعوا الذكر تعظيماً للمذكور وإعظاماً للذاكر» على غاية من القرب والمواصلة بحيث لا يدعون للشيطان فرجة يتوصل منها للذاكر وحفّ ــ بتشديد الفاء ــ من باب طلب فتعدى إلى الثاني بحرف الجر قال تعالى: ﴿وحففناهما بنخل﴾[2] وقد يضمن معنى أحاط فيصل إلى مفعوله الأول بالباء، نحو ما جاء في حديث «إن لله ملائكة سيارات من قولهم حفوا بهم» وهذا أحسن مما أطلتُ به في أول شرح الأذكار. (وذكرهم الله فيمن عنده) عندية مكانة وعلو رتبة لا علو مكان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهم الملائكة والأنبياء، وذكره للذاكر ثم مباهاة به، ورضًى بفعله. (ومن بطأ) ــ بتشديد الطاء المهملة ــ نقيض السرعة، أي: من قصر (به عمله)، أي: فقصر عن رتبة الكمال لفقد بعض شروط الصحة أو الكمال فيه. (لم يسرع به نسبه)، أي: لم يلحقه برتب أصحاب الأعمال الكاملة؛ لأن المسارعة إلى السعادة إنما هي بالأعمال لا بالأحساب. قال الشاعر:

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

وفي الفتح المبين في الحديث السادس والثلاثين قال ابن مسعود: «يأمر الله تعالى بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس على قدر أعمالهم زمراً زمراً أوائلهم كلمع البرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير ثم يمر الرجل سعياً وحتى يمر الرجل مشياً وحتى يمر آخرهم على بطنه فيقول: يا رب لم بطأت بي فيقول: إني لم أبطأ بك إنما بطأ بك عملك» وأورد أحاديث مرفوعة في ذلك. (رواه مسلم) قال المصنف في الأربعين: الحديث (بهذا اللفظ) قال

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن... (الحديث: ٣٨).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٣٢.